الفصل الأول

حركة ترجمة علم الاجتماع إلى اللغة العربية

رؤيــــة نقديــــة(*)

مقدمة

الترجمة مرحلة ضرورية من مراحل تكوين الثقافة وانتشارها. وتــدل الترجمــة على تراكم المعرفة ، واحتكاك الثقافات، وبناء النهضة، والاتصــال بــين الثقافــات والتعرف عليها. ولقد ترجم العرب الفلسفة اليونانية وحفظوا هذا التراث الإنســانى ، وقاموا بشرحه. فقاموا بنقل نظريات فيثاغورث وإقليدس ومذاهب أفلاطون وأرســطو وأفلوطين إلى العربية . وقد نقل الأوروبيون من خلال الترجمــات العربيــة التــراث الفلسفى اليونانى المترجم وشروحه العربية فى القرن الخامس عشر المــيلادى ، كمــا ترجموا أعمال ابن سينا وابن رشد وأشعار عمر الخيام وأبى العلاء المعــرى، وتــأثر دانتى الإيطالي بأشعار أبى العلاء فأبدع الكوميديا الإلهية. وفى عصر محمــد علــى- بداية عصر النهضة الحديثة فى مصر- اهتم الحاكم بالترجمة، وأنشأ مدرسة الألســن، وترجم كتب الطب والهندسة ومعارف إنسانية كثيرة. ولقد أدت الترجمــة إلــى نشــر أشعار شكسبير، وآراء جان جاك روسو وفولتير، وروائع نجيب محفــوظ ، وعلــوم الفضائيات والإلكترونيات ونظرية النسبية، وترجمت أيضا نظريات التناسخ والهندســة الوراثية. مثلما ترجمت التوارة والإنجيل والقرآن إلى كل اللغات، مما ساعد على نمــو الحضارة الإنسانية وإزدهارها، واحتكاك الثقافات والحضارات.

وترجمت إلى اللغات الأوربية أعمال ابن خلدون المؤسس الحقيقى لعلم الاجتماع والمنكر الجهد فى تفسير أحوال العمران. وقد أهتم الغربيون بشرح المقدمة، وتفسيرها فكتب اكوست آيف كتابه "العلامة ابن خلدون"، وقدم لنا بأنســبينا ســفتيلانا العمــران البشرى " فى مقدمة ابن خلدون، وجوستان بوتول ابن خلدون : فلسفته الاجتماعيــة"، ولابيكا جورج "السياسة والدين عند ابن خلدون". وترجمت هذه الكتب إلى العربية، منذ منتصف القرن الماضى . وكان عنوان الرسالة الأولى التى قــدمها " طــه حســين " لجامعة السربون لنيل درجة الدكتوراه "فلسفة ابن خلدون الاجتماعية" وترجمهــا مــن الفرنسية إلى العربية محمد عنان. كما ترجمت كتابات ماركس وفرويــد، ودوركــايم، وداروين، إلى لغات عديدة منها اللغة العربية. وكان لهذه الترجمات آثارها فى إعــادة

(*) كتب هذا الفصل الدكتور محمد سعيد فرح، أستاذ علم الاجتماع، بكليــة الآداب، جامعــة طنطا.

تشكيل الأفكار والقيم الحديثة والنظم الاجتماعية والتمرد على التراث الاجتماعي التقليدى فى بلدان كثيرة .

ومنذ منتصف القرن العشرين ، اهتم المبعوثون المصريون والعراقيون العائدون من الخارج بترجمة علم الاجتماع الغربى إلى العربية؛ ذلك العلم الحديث الذى ظهر كرد فعل للسؤال التالى : كيف نحقق النظام الاجتماعى فى هذا العالم ؟ وكيف ينشأ ويستمر كل من النظام الاجتماعى والتنظيم الاجتماعى ؟ وكيف تتكون النظم الاجتماعية وكيف تبقى ؟ وكيف تتغير ؟ وكان الهدف من الترجمة تدريس هذا العلم الجديد للطلاب فى الجامعات ، والمساهمة فى حركة التنوير.

إن التعرف على علم الاجتماع الغربى ونقلة إلى اللغة العربية، ليس بدعة، أو ظاهرة تخص العرب وحدهم ، فالأمريكيون ترجموا كتب علم الاجتماع المكتوبة بالفرنسية والألمانية إلى اللغة الإنجليزية ، والعلماء الاجتماعيون فى أمريكا اللاتينية ويوغوسلافيا وإيران والهند إلخ الذين عاشوا ظروفاً مثل ظروفنا، ترجموا الكثير من مؤلفات علم الاجتماع ، ومفهومات علم الاجتماع الأوربى والأمريكى ، وأعادوا تطويرها، كما أضفوا عليها معان محلية نابعة من واقع مجتمعاتهم (الغبرا، ص ص ٢١٠، ٢١١). وإذا كانت مرحلة ترجمة الأعمال والمفهومات مرحلة ضرورية من مراحل تكوين العلم ، فإن فترة طفولة علم الاجتماع فى العالم العربى قد طالت كثيراً ، وزادت عن خمسين عاماً ، ويعنى استمرار إصدار الترجمات، وندرة الأبحاث والمسوح الاجتماعية الهادفة والجادة، بل عدم الاعتراف بها أحياناً ؛ "أننا مجتمع خاضع للاستعمار الفكرى" (عبد الكريم الخطيبى).

وقد يسأل سائل لماذا نهتم بحركة الترجمة فى علم الاجتماع وما الوضع الذى آلت إليه؟ وما خطورتها؟ لا يعلم بالآثار الإيجابية والسلبية للترجمة وجودتها وسوءاتها إلا خبير انشرح صدره بعد قراءة العمل المترجم أو عانى وشعر بالأسى من قراءة الكتاب المترجم، ووجد أن قراءته فى لغته الأصلية أيسر وأسهل فى الفهم من قراءة الكتاب المترجم.

وكان الأستاذ السيد بدوى من أوائل المبعوثين الذين عادوا فى الأربعينيات من فرنسا، وتخصصوا فى علم الاجتماع أثناء البعثة. ولقد رد الرجل الدين لوطنه ، وقدم مساهمة رائدة وصادقة وجادة فى نقل علم الاجتماع الفرنسى إلى اللغة العربية. بدأ الأستاذ مشروع ترجمة المصادر الأساسية فى علم الاجتماع بالاشتراك مع الدكتور محمود قاسم . فهو يعد الرائد الأول فى ترجمة مؤلفات رواد علم الاجتماع الفرنسى إلى اللغة العربية. وكان عام ١٩٤٩ بداية مشروع الترجمة. فتعددت جهوده بين الترجمة الكاملة للكتاب بمفرده أو المشاركة فى الترجمة أو القيام بدور المراجع.

ولقد أنفرد الأستاذ بترجمة الكتب التالية :

١-المدخل إلى علم الاجتماع ١٩٤٩، تأليف: رينية مونيية. وكانت ترجمته بناء على نصيحة من أستاذ الأنثروبولوجيا رادكليف براون، مدير معهد العلوم الاجتماعية بجامعة الإسكندرية فى ذلك العام. ولم يكتف بالترجمة ، بل قام بالتعليق على بعض الأفكار والعبارات ، وأضاف ثبتاً بالمفهومات ضم ٢٣٧ مفهوماً فى علم الاجتماع باللغة الفرنسية ، ترجمها إلى العربية لأول مرة.

٢-التربية الأخلاقية تأليف إميل دوركايم. وراجعه على عبد الواحد موافي. وترجم فيه ٢٦ مفهوما. ولم يكن الدكتور وافي مراجعا بقدر ما كان معلما ومرشداً وناصحاً للمترجم بالاهتمام بمعنى المفهوم وأصوله(*) .

٣-طبقات المجتمع، ١٩٥٦، تأليف : أندريه جوستان. وهذا الكتاب من أشهر الكتب التى كتبها جوستان . وقد ترجم ٦٨ مفهوما.

كما شارك فى ترجمة الكتب التالية:

١-فلسفة أوجست كونت ١٩٥٢، تأليف: ليفى بريل ترجم بالاشتراك مع أ د/ محمود قاسم[1] . وقد كتب مع زميله مقدمة للترجمة العربية. ولقد انفرد محمود قاسم بترجمة الفصلين الأول والثانى ، وترجم بدوى الفصلين الثالث والرابع . وقد قام قاسم بترجمة ٦٢ مفهوماً فرنسياً إلى العربية، وأضاف بدوى ٢٧ مفهوماً.

٢-الأخلاق وعلم العادات الأخلاقية ١٩٥٣ ، تأليف: ليفى بريل، ترجم بالاشتراك مع محمود قاسم.

٣-مقدمة فى علم الاجتماع، تأليف أرمان كوفييه. بالاشتراك مع محمد عباس الشربينى.

كما ساهم الأستاذ فى مراجعة الأعمال التالية:

١- قواعد المنهج فى علم الاجتماع، تأليف: إميل دوركيم وترجمة محمود قاسم. وصدرت الترجمة العربية فى عام ١٩٥٢ بعد ترجمته إلى الإنجليزية بحوالى إثنى عشر عاماً، إذ كان قد ترجم إلى الإنجليزية فى عام ١٩٣٨ . ولهذا الكتاب أهمية كبرى فى تاريخ علم الاجتماع. "إذ كان سبباً فى تعجيل نشأة المدرسة الاجتماعية العلمية. كما كان يعج بالمفهومات الاجتماعية العلمية الفرنسية التى نقلها المترجم

(*) حوار خاص بين الأستاذ والباحث
(١) انفرد قاسم بترجمة الكتب التالية: ١- علم الاجتماع الدينى تأليف روجيه باستيد ١٩٥١، ومقدمة فى علم النفس الاجتماعى تأليف شارل بلوندل.

والمراجع إلى العربية لأول مرة، دون أن يجدا لدى السابقيْن عوناً (محمود قاسم: مقدمة ترجمة كتاب قواعد المنهج فى علم الاجتماع ص١١)

وما يزال هذا الكتاب محور جدل ونقاش بين علماء الاجتماع. ويرى بعض الأساتذة من شراح علم الاجتماع أن كتاب أنطونى جيدنز " قواعد جديدة للمنهج فى علم الاجتماع" والذى صدرت طبعته الأولى عام ١٩٧٦- وأهم أعمال جيدنز- يعد إحياء لعمل دوركايم فى عالم جديد. والقواعد العشر التى طرحها جيدنز بعد أكثر من سبعة عقود من نشر كتاب دوركايم قد تعد إضافة أو تأكيداً أو تفنيداً للقواعد التى كتبها دوركايم فى عام ١٨٩٥م.

توضح لنا القائمة السالفة من الكتب المترجمة طبيعة العمل المشترك بين بدوى وقاسم ، وقد تبلور هذا العمل المشترك فى إقامة مشروع لترجمة الأعمال الأساسية الفرنسية فى علم الاجتماع إلى العربية. ويهدف هذا المشروع إلى إعداد جيل مثقف ثقافة اجتماعية علمية. وقد كان المشروع رد فعل ضد طريقة كانت شائعة- ولا زالت- تدعى تأليف كتب علم الاجتماع، والتأليف منها برئ . إذ انحصر جهد المؤلف فى قراءة أعمال أساتذة علم الاجتماع الفرنسيين أمثال فوكونية ودوركيم وكونت وإعادة كتابتها بالعربية. ولقد رفض قاسم وبدوى هذه الطريقة. مثلما رفضا الاقتباس والنقل والترجمة بتصرف والتوليف بين الأفكار، وسعياً إلى ترجمة الأعمال الأساسية ترجمة كاملة غير منقوصة إلى اللغة العربية، وخرجت الترجمات كلها فى ثوب قشيب.

وقد تميزت ترجمات هذه الكتب الأولى كلها - مثل المؤلفات - بسلاسة الأسلوب ووضوح العبارة وجمالها، وحسن التعبير المناسب الذى يتوافق مع المعنى الأصلى الفرنسى، ولا يشعر من يقرؤها أن الكتاب مترجم. وقد قام المترجم فى كل عمل بوضع المفهوم العربى المقابل للمفهوم الفرنسى فى النص. والتدقيق فى اختيار المفهوم العربى المناسب والملائم للمفهوم الفرنسى فى النص. والمثال التالى يبين حرص المترجم على اختيار المفهوم المترجم بدقة. فلقد تعودنا أن نترجم المفهوم الفرنسى Reflexion إلى الانعكاسية والبصيرة ولكن المترجم ترجم هذا المفهوم بعد تدقيق لاختيار المعنى إلى "عكوف النفس على ذاتها" (راجع بدوى : الأخلاق بين الفلسفة وعلم الاجتماع ص ٤١). كما اهتم بشرح معان بعض المفهومات، وهذا جهد عظيم أصبح أغلب المشتغلين بالعلم لا يقدرونه حق قدره.

وأما الرائد الأسبق لترجمة مفهومات علم الاجتماع من الفرنسية إلى العربية فهو الأستاذ الجليل على عبد الواحد وافى الذى يعد من أوائل من ترجموا المفاهيم والمصطلحات.

وقد ترجع القدرة على الترجمة من الفرنسية إلى العربية إلى الجمع بين الثقافتين العربية والفرنسية ، وتملك ناصية اللغتين، والتفرغ للعلم، وبذل الجهد بغية إتقان العمل. والحقيقة أن الأرض لم تكن ممهدة أمام هؤلاء الرواد مترجمى علم الاجتماع إلى العربية. فالأساتذة الذين قاموا بتدريس هذا العلم الجديد بذلوا الجهد مضاعفا لنحت أو ترجمة مفهومات علم الاجتماع التى لم تكن شائعة من قبل. ويتعين أن نوضح بل نؤكد على حقيقتين تكشفان الجهد الصادق للرواد.

الحقيقة الأولى : جهد الأستاذ على عبد الواحد وافى فى ترجمة مفهومات علم الاجتماع الفرنسى إلى العربية. وقد اهتم وافى بترجمة مفهومات اجتماعية علمية فرنسية إلى اللغة العربية فى مجالات علم الاجتماع الأساسية. فترجم فى علم الاجتماع الاقتصادى ٦٦ مفهوما، وعلم الاجتماع الأسرى ٣٨ مفهوماً. وفى كتابى "علم اللغة، اللغة والمجتمع " ٤٩ مفهوماً، "والمسئولية والجزاء " ٥٠ مفهوماً. كما حرر ٣٤ مفهوماً وأشرف على تحرير ومراجعة ٣٧٠ مفهوماً فى " معجم العلوم الاجتماعية ".

والفرق واضح بين جهد وافى فى الترجمة وجهد بدوى وقاسم . فالأول لم يترجم أعمالاً كاملة. أما الآخران فاهتما بترجمة بعض أعمال علم الاجتماع الفرنسى بلا تحريف أو حذف.

الحقيقة الثانية : أن حركة ترجمة الأعمال الاجتماعية العلمية التى بدأت فى نهاية عقد الأربعينيات، قد سبقتها ترجمة أعمال اجتماعية انطباعية أو كتابات الرحالة الفرنسيين إلى مصر، من اللغة الفرنسية إلى العربية . فمنذ أوائل القرن العشرين، وفى عام ١٩٠٩ ترجم أحمد فتحى زغلول كتاب " روح الاجتماع " تأليف جوستاف لوبون. وقد أعاد ترجمة هذا الكتاب عادل زعيتر فى عام ١٩٥٥ !! ، كما ترجم زغلول كتاب جوستاف لوبون "سر تقدم الأمم "، فى عام ١٩٢١ ، وأعاد المترجم نفسه ترجمة هذا الكتاب فى عام ١٩٥٧ !! . ولقد كثرت ترجمة كتب الرحالة والأعمال الاجتماعية الانطباعية، وكانت حركة ترجمة مثل هذه الكتب تهدف إلى مخاطبة المتوحدين بالثقافة الفرنسية، والإحاطة بحضارة الغرب لعلنا نقلدهم ، ونعرف سر تقدمهم وأسباب تأخرنا. كما كانت هذه الترجمات تهدف إلى توجيه المجتمع نحو التقدم الحضارى المنشود والتعرف على أحوال التمدين.

وإذا كان مشوار وافى فى الترجمة قد بدأ بترجمة المفهومات وتمثل أفكار فوكونيه ودوركايم، ثم استكمله بدوى وقاسم فى نهاية الأربعينيات بإقامة مشروع لترجمة كتب علم الاجتماع الفرنسى كاملة. فابتداء من منتصف الخمسينيات اتسع جهد الترجمة من الإنجليزية، وساهم على عيسى بترجمة الجزء الأول من كتاب "المجتمع" تأليف ماكيفر، وترجم أحمد أبوزيد كتاب الأنثربولوجيا الاجتماعية تأليف

إيفانز بريتشارد. ثم أشرف أبو زيد على ترجمة أربع مقالات فى البناء الاجتماعى، كتبت بالإنجليزية كتبها كل من رادكليف براون ، وكلود ليفى شتراوس ، وريموند فيرث، وجورج جورفيتش. وقام أبو زيد بترجمة المقال الخامس " المجتمع الصغير كبناء اجتماعى " تأليف روبرت ردفيلد ". وكانت ترجمة هذه المقالات بتوصية من قسم العلوم الاجتماعية فى قسم التعاون العلمى فى اليونسكو، ونشرت المقالات الخمس مجمعة فى مجلة مطالعات العلوم الاجتماعية فى خريف ١٩٦٠. كما اشترك أبو زيد فى ترجمة كتاب " الغصن الذهبى" (١٩٧١) تأليف جيمس فريزر، وانفرد بترجمة كتاب ما وراء التاريخ ١٩٦٥.

وإذا كان رواد ترجمة كتب علم الاجتماع فى مرحلة التعرف على العلم، من المتخصصين فى العلم الاجتماعى، فقد جاء بعدهم جيل ثان من أعضاء سلسلة علم الاجتماع المعاصر تحت إشراف محمد الجوهرى، وكان لهم جهد مشكور فى إثراء المكتبة العربية بترجمات هامة ، وإعداد جيل جديد من المترجمين. وكان من التلاميذ النابهين لهذه المجموعة " أحمد زايد " الذى ساهم واشترك فى ترجمة كتب كثيرة منها على سبيل المثال : الاقتصاد والمجتمع، والمرأة والمشكلة السكانية فى العالم الثالث، وعلم الاجتماع والنقد الاجتماعى، وعلم الاجتماع الأمريكى ، وموسوعة علم الاجتماع.

ولقد كان رواد الترجمة من الفرنسية من المتخصصين فى العلم الاجتماعى، ويدرسونه فى الجامعات، إلا أن الساحة بعد ذلك لم تفرد لهم، إذ اقتحم ميدان الترجمة بعض المحترفين وغير المتخصصين فى علم الاجتماع من المشتغلين باللغتين العربية والإنجليزية واللغات السامية أمثال القصاص، وبرهام وغيرهما.

ومن خلال هذه الترجمات قدم وعرف علم الاجتماع الفرنسى والإنجليزى وعلم الاجتماع الأمريكى ، لقراء العربية وطلاب علم الاجتماع العرب، والمثقف العربى.

وتلك الخطوة كانت ضرورية لمعرفة قضايا العلم الاجتماعى الحديث ومناهجه وأعلامه ، بعدما تناسى العرب جهد ابن صاعد الأندلسى وكتابه طبقات الأمم الذى صدر فى القرن الحادى عشر، وجهود ابن خلدون الذى جاء بعد ابن صاعد بثلاثة قرون – التى وضحت فى المقدمة– قلت مشاركتهم مشاركة إيجابية فى إبداع العلم الاجتماعى وتطويره.

وإذا كان الرواد قد اهتموا باختيار الأعمال الأساسية فى علم الاجتماع لترجمتها، مثلما انشغلوا بتحديد المقصود بالمفهوم المترجم ومعناه، فإن الأكثرية من الأعمال المترجمة المعاصرة تفتقد الدقة ، مثلما تختار اختيارا عشوائياً.

فابتداء من منتصف السبعينيات قرأنا أعمالاً مترجمة صدرت فى بلدان المشرق

والمغرب ، كثرت فيها أخطاء الترجمة ، أو غلب عليها سطوة التعريب، وانعدام الصلة بين الدال والمدلول، وعدم دقة المفهومات. فقرأنا مفهومات غير محكمة، وعبارات سقيمة مبهمة، وتركيبات لغوية تكشف الجهل بأسرار اللغة، وغياب الهدف من انتقاء العمل المترجم، وتعدد معانى المفهوم الواحد الأجنبى المترجم.

ولكن رغم غموض الكثير من المفهومات، وصعوبة بعض من مؤلفات علم الاجتماع المترجمة إلى العربية، فهذا لا يدعونا إلى المطالبة بإيقاف حركة الترجمة. إذ إن الترجمة، مسألة ملحة للانفتاح على العالم فى الفترة الراهنة. فالأمر الذى لا يختلف علية اثنان من المشتغلين بالعلم هو الحاجة الملحة إلى ترجمة الأعمال المميزة الأساسية للعلماء البارزين فى علم الاجتماع ، والصادرة فى كل مكان فى العالم، والمكتوبة بغير اللغة العربية ، لكى نعرف ونتعلم كيف يفكر الآخرون فى أمور مجتمعاتهم، وكيف يفسرون ما يطرأ على مجتمعاتهم من تغيرات.

لقد كانت نقطة البداية التى انطلق منها علم الاجتماع فى العالم العربى، هى نقطة البداية التى انطلق منها علم الاجتماع الأمريكى وهى التعرف على علم الاجتماع الأوروبى عموماً والفرنسى خصوصاً وترجمته. إلا أننا توقفنا عند الترجمة والنقل والاقتباس ، بل خرب جهد الترجمة أحيانا ، ولم نسر فى الطريق الذى سار فيه علم الاجتماع الأمريكي، لنبدع علماً اجتماعياً يعبر عن خصوصيتنا الثقافية، ويفسر واقعنا الاجتماعى تفسيراً علميا. لقد تمثل دارسو العلم الاجتماعى فى أمريكا القضايا التى طرحها الرواد ومناهجهم، ثم بحثوا عن هوية جديدة تميز علم الاجتماع عندهم عن علم الاجتماع الأوروبى ، وتؤكد أصالته، فاتجهوا إلى الدراسات الميدانية، واعتمدوا على المسح الاجتماعى والبحوث الاجتماعية فى الريف والحضر ، والأسرة والمصنع والمدرسة ووصفوا وفسروا السلوك السوى والسلوك المنحرف، واعتمدوا على التحليل الإحصائى للبيانات الرقمية عن المجتمع الأمريكى. والفرق بينهم وبيننا أنهم حاولوا فهم وتفسير مجتمعهم ، وهذه المحاولة الجادة أدت إلى نشأة علم اجتماع أمريكى مميز. أما جهدنا فلا زال قاصراً على النقل والتوليف، ولم نقم بمحاولات جادة لجمع بيانات عن مجتمعنا وتفسيرها.

وبعد هذه المقدمة الطويلة حول جهود الرواد فى ترجمة كتب علم الاجتماع ومفهوماته إلى العربية ويتعين علينا أن نركز فيما يلى على محاور هذه الدراسة، وهى ثلاثة، تدور حول: تعريف الترجمة، وقضية ترجمة المفهوم، ونوع الأعمال المترجمة (الكتب المعاجم المقاييس والاختبارات) واللغة التى تترجم منها.

أولاً: تعريف الترجمة

الترجمة ليست عملية سهلة أو ارتجالية ، بل نشاط عقلانى له قواعده وأصوله،

كما يعدها البعض فرعاً من فروع المعرفة، ولا تعنى نقلَ معانى الكلمات نقلاً آليا كما وردت فى المعاجم أو وضع ألفاظ مكان ألفاظ ، أو وص كلمات يقوم بها غير المتخصص. بل هى عملية تتطلب الإلمام والإحاطة بالموضوع المترجم، والتمكن من اللغتين، وتتطلب التعرف على الظروف الاجتماعية والتاريخية التى عايشها الكاتب، وكيف نشأ هذا المفهوم أو ذلك ؟ ومتى ؟ ولن يحقق المترجم مهمته بنجاح إن غاب عنه الوعى بمعانى الكلمات والتركيبات اللغوية فى بنية اللغة، كما أن الاتفاق على معنى المفهوم المترجم ليس جهداً فردياً بل جهد جماعي.

ونعنى بالترجمة نقل نص أو عمل مكتوب بلغة ما إلى لغة أخرى (سامية أسعد، ص ص ١٥-٣٥) . وعلى المترجم إلى العربية بذل الجهد والبحث فى اللغة العربية على أسماء للمفهومات التى يريد ترجمتها إلى العربية، بأى طريق من الطرق الجائزة فى اللغة، فإن تعذر ذلك بعد البحث الدقيق يستعار اللفظ الأجنبى بعد صقله ووضعه على مناهج اللغة العربية. وهذا الجهد قلما يحدث الآن (إبراهيم خورشيد ص ص١٦-١٧).

وتستوجب الترجمة مفهومات جديدة عن اللغة الشائعة، وتهدف إلى خلق جديد للنص أو العبارة بلغة مغايرة. فالمعنى هو أهم ما يجب أن يشغل فكر المترجم، أما ترجمة المفهوم بما يقابله لغوياً فليس من الترجمة فى شئ ولا يجدى شيئاً.

أما نقل الكلمات أو المفهومات من لغة أجنبية إلى اللغة العربية ، مع تحويرها نطقاً لتلائم النطق العربى، ويكتب المفهوم المعرب كما ينطق بحروف عربية .

والمفهوم المعرب ، والذى به نفكر ونكتب ونعلم ونتعلم ونبحث، مستقى من ثقافات أخرى غير ثقافتنا ، حتى ولو كتب بحروف عربية. ولقد كثرت هذه المفهومات المعربة فى علم الاجتماع ولم يعد من المستغرب قراءة مفهومات مثل سوسيولوجيا، وسوسيومترى، وسيكولوجى ، وديناميكية الجماعات، واستاتيكا...وهكذا. والحقيقة فعندما يسير المعرب فى طريق التعريب طليقاً، فإنه لا يراعى ذماما للمعانى الدقيقة، ولا يعنى باختيار ألفاظه (حسن فهمى ص ٣٣). ويرى حسن فهمى أنه لا يمكن لمعرب لا يعرف أصول الاشتقاق والقياس ومدى مرونة الكلم فى لغته ، أن يوفق فى اختيار المفهوم المعرب المقابل للمفهوم الأجنبى (حسن فهمى ٢٢٥).

والأمر الذى يستحق أن نتوقف أمامه ولا نهمله أن بعض المشتغلين بترجمة مؤلفات علم الاجتماع إلى العربية ، لم يهتموا بمشكلة صياغة المفهوم، ولم يفرقوا بين الترجمة والتعريب والاشتقاق. ورغم أن مجال الترجمة والاشتقاق أوسع من مجال التعريب ، ورغم أنه يتعين ألا نعطى رخصة التعريب إلا بعد استحالة الاشتقاق (قاسم السارة ص ص ٢٨٠-٢٨١)، فإن المعاصرين من المترجمين الجدد أكثروا من

التعريب وقصروا عن الاشتقاق والترجمة وتلك زلة. إذ يتعين على المترجم البحث عن المفهوم العربى المناسب المدلول الذى يحقق المعنى بدلاً من التعريب ورسم الكلمة الفرنسية أو الإنجليزية بحروف عربية، وحفظ طريقة نطقها.

ثانياً: قضية ترجمة المفهوم

إن ترجمة مفهومات علم الاجتماع من أصعب المهام التى تواجه المترجمين المشتغلين بعلم الاجتماع فى كل اللغات. وفى اللغة العربية يعتمد قبول هذه المفهومات الجديدة وصلاحها على القبول العام للمفهوم وقبول استعمالاته، وعلى تطوير اللغة العربية للواقع والتطورات العالمية التى تطرأ على العلم الاجتماعى ، ومعاناة الباحثين على إيجاد مرادفات صحيحة عربية لها. وقد يؤدى نحت المفهوم العربى من المفهوم الأجنبى دون حيطة أو احتراز إلى اللبس وعدم التقيد فى اختيار اللفظ العربى بالمعنى الحرفى أو اللغوى فى اللغة الأجنبية المنقول منها ، مما يبعد المفهوم المترجم عن معناه الأصلى ويزيده غموضا، ويزيد من صعوبة فهم المراد من النص.

وثمة مثال قدمه لنا عالم الاجتماع الألمانى دارندورف عن صعوبة ترجمة المفهومات فى كل اللغات، إذ تشير الترجمة الشائعة لمفهوم Stand عند ماكس فيبر إلى وضع اجتماعى Status ، بالرغم من أنها تعنى فى الواقع كلاً من وضع اجتماعى وطبقة اجتماعية Estate . ويلاحظ القارئ أن مفهوم طبقة يعنى بالإنجليزية Class ، وState، تعنى طبقة اجتماعية مغلقة فى المجتمع تقوم على الأملاك لا المال، وتتسم بطابع مشترك من المعيشة والقيم". ومما لاشك فيه أن المفاهيم حين تترجم أو تكتب صوتياً فإنها غالبا ما تضيف فى معناها أو تنحرف فيه أو ينشأ لها معنى ثانوى. ولقد أعطى هذا المفهوم Stand ترجمات كثيرة- مختلفة مثلما فعل تالكوت بارسونز- تفتقد كلها الإبداع من المترجم ؛ (نيو مارك ص ١٥٨).

وإذا كان الحال كذلك بين اللغات الأوربية فالمسألة أصعب على المترجم الذى يترجم من الإنجليزية أو الفرنسية إلى اللغة العربية ، إذ يتعين التأنى، حتى يتسنى العثور على مفهوم ملائم للمفهوم الوافد من القارة الأوروبية والتدقيق فى مدلوله ومعناه بدلا من استعماله فى غير موضعه. فالكثير من المفهومات المترجمة لا تعبر عن المعنى المناسب للمفهوم فى لغته الأصلية ولا تعبر إلا عن شكل الكلمة، ولذا نجد صعوبات جمة فى فهم الأعمال المترجمة. فابتداء من منتصف السبعينيات نجد أقدام بعض مترجمى علم الاجتماع إلى العربية قد زلت ، لعجزها عن الوصول إلى المعنى، وخرجت الترجمات أشبه بالثوب المملوء بالثقوب أعده ترزى غير ماهر لم يراع قواعد الحياكة.

ومن نافلة القول أن نكرر أن العلامات المميزة التى تدل على نضوج العلم

الاجتماعي في أي بلد في مرحلة نشأة هذا العلم، هي تمكن المشتغلين به من صياغة أو نحت أو ترجمة معاني المفهومات الأساسية بإحكام ودقة . أما عدم القدرة على تحديد معاني هذه المفهومات ، فيعني عدم القدرة على تشييد علم اجتماع وطني ، والاستكانة لما يكتبه الآخر والاكتفاء بنقله إلى العربية في عبارات توفيقية وكلام ملفق قد يثير الطالب والقارئ ويدفع به إلى الاغتراب عن قضايا بلده، لو أكثر المؤلف أو الملفق من سرد أمثلة ونماذج عن مجتمع أو مجتمعات تختلف عنا في اقتصادها ودينها وثقافتها وحضارتها.

فمفهومات علم الاجتماع هي التي تميزه عن العلوم الطبيعية والعلوم الاجتماعية الأخرى فلكل علم من هذه العلوم مفهوماته. ومجموعة المفهومات هي القالب التي يصوغ بها العلم قضاياه والأداة التي يستخدمها العالم لوصف مشكلاته وتفسيرها. والمفهومات هي مفاتيح العلوم كلها والسياج العقلي لكل علم، (عبد السلام المسدى اللسانيات ص ١١) وأدواته العقلية التي يستخدمها الباحث الاجتماعي لتحديد الظواهر التي يدرسها. كما أن هذه المفهومات مجردة من كل حكم خلقي أو معنى عاطفي، وهي وسيلة تكوين وتنظيم وتطوير المعرفة الاجتماعية وتكوين الوعي عن هذا العالم الاجتماعي. فالمعنى هو ما يجب أن يسعى إليه المترجم. أما ترجمة الكلمة أو المفهوم بما يقابله في المعاجم فلا يجدي شيئاً.

ونقصد بالمفهوم في علم الاجتماع لفظ أو كلمة أو مصطلح يشير إلى الظواهر أو النظم أو الأحداث أو العمليات الاجتماعية. ثمة فرق بين الكلمات العادية والمتداولة في حياتنا اليومية ومفهومات علم الاجتماع، ويكمن الفرق في أن مفهوم علم الاجتماع أكثر تحديداً وأكثر دقة وأكثر تجريداً من كلمات الحياة اليومية. ويعني المفهوم في اللغة عامة اتفاق طائفة مخصوصة على أمر مخصوص (الزبيدى : ص ٥٥١). ويعرف مجدى وهبة المفهوم أو المصطلح بأنة مجموعة الكلمات أو العبارات الاصطلاحية المتصلة بفرع من فروع المعرفة أو بفن ما ، أو الكلمات الخاصة بعالم معين في بسطة وشرحه وعرضة لنظرية من النظريات (مجدى وهبة ص ٣٦٨). وعرَف المعجم الوسيط المفهوم ، بأنه اتفاق طائفة على شئ مخصوص، وأكد أن لكل علم مفهوماته (المعجم الوسيط ص ٥٢٠).

فالاتفاق على المفهوم هو الأصل ، فالتعريفات كلها تشير إشارة واضحة إلى أهمية اتفاق المشتغلين بالعلم على إعطاء لفظة معينة أو كلمة محددة دلالة جديدة.. وهذا الاتفاق يخلع على الكلمة معنى جديداً ، ويحجب أى خلط في ذهن القارئ ، وهذا كله يبين أهمية الاتفاق على تحديد المفهوم وإلا صار اللفظ أو المفهوم متشابهاً مختلطاً غير محكم ، يلتبس معناه ودلالته على القارئ .

والمفهوم لا ينشأ فى فراغ ، بل هو وليد بيئة اجتماعية ، ويحمل جنسية بلد المنشأ التى ظهر فيه كما قال شكرى عياد. وعلم الاجتماع مثله مثل علوم أخرى لم يكن له أسماء فى العربية، فترجمت ألفاظ ومفهومات العلم الاجتماعى الفرنسية أو الإنجليزية أو الألمانية إلى العربية. فالعالم الباحث فى أمور المجتمع مثل أى باحث فى العلوم الاجتماعية والطبيعية يعتمد على مجموعة من المفهومات المتفق عليها ، ومن يعتقد أن الباحث فى أمور المجتمع قادر على أن يتحدث ويكتب ويترجم بغير مجموعة من المفهومات المتفق عليها فقد أساء فهم العلم وخاب أمله. فالخطوة الأولى التى تدل على نضوج علم الاجتماع فى المجتمع العربى هى تمكن المشتغلين بالعلم من وضع وتحديد المفهومات الأساسية التى تميز لغة علم الاجتماع عن لغة الحياة اليومية ولغات العلوم الأخرى. وتحديد هذه المفهومات وتعريفها واستخدامها بحرص يسبق تحديد قضايا العلم، وليس العكس. فبعض المفهومات التى يتداولها علماء الاجتماع ، يتداولها الرجل العادى ، مثل الأسرة والزواج والهجرة والثقافة والدور والوظيفة والجماعة والمركز والهجرة والسلطة والقوة أو البيروقراطية، كلها مفهومات اجتماعية هامة. ولكن ثمة فرقاً بين المفهوم عند الرجل العادى والباحث الاجتماعى ، فالمفهوم عند الاجتماعى محدد ومجرد.

ولقد أشار بارسونز إلى أن المفهومات يمكن أن تكوّن قاعدة من الأفكار النظرية أعمق من أجل بناء نظرية علم الاجتماع فى مرحلة لاحقة. إذ " يتعين أن تستفيد النظرية فى علم الاجتماع من عدد محدود من المفهومات الهامة والتى تدرك إدراكاً ملائماً جوانب العالم الخارجي. وهذه المفهومات لا تطابق ظواهر محسوسة تقترن بعناصر محددة داخل هذه الظواهر، أى تجرد من الحقيقة التجريبية بكل ما تتضمنه من مظاهر التباين والتناقض والتنافر والخلط. وهذه المفهومات المجردة تستنبط من الواقع، ومن ثم فهى تساعد على عزل الظواهر عن تجسداتها فى علاقات معقدة تكون الحقيقة الاجتماعية ، ولهذه المفهومات أسبقية مطلقة على أنساق القضايا والتعريفات والنظريات . بل لن يمكن البدء فى صياغة نظرية اجتماعية محكمة إلا بعد الاتفاق على معان ودلالات المفهومات المجردة (تيرنر : ص ص ٦-٨). فالمفهومات المستخدمة فى علم الاجتماع مفهومات محددة واضحة على مستوى عال من التجريد من أى حكم خلقى أو معنى عاطفي وتدل على العام بدلا من الخاص. فهى تشير إلى أنماط أو مجموعات من الأحداث أو الأشخاص أو الجماعات أو العلاقات أو الأفعال إشارة مجردة خالية من أى حكم يرتبط بشخص معين أو زمان محدد أو مكان معلوم مثل الثورة أو الحرب أو الصفوة أو التكامل أو التنظيم الاجتماعى أو القرية أو المصنع. والباحث الاجتماعى مثله مثل كل الباحثين فى العلوم الأخرى يدرس مجموعة من الظواهر ولا يدرس حالات فردية خاصة ، ليصف ويفسر هذه الظاهرة

ويقارنها مع ظواهر أخرى مثل الطلاق أو الزواج باعتبارهما ظاهرتين اجتماعيتين.

وإذا كان رواد العلم الاجتماعى فى مصر والعراق يتميزون بالفهم العميق للغة وقواعدها ، فإن جيل الشباب المعاصر افتقد هذه الميّزة وأصبح يتجاهل قواعد الاشتقاق الأولية "(حسن فهمى ص٩٢) ومن ثم كثرت الألفاظ المعربة. إذ لا يصح عند نقل المفهوم إلى العربية نقلاً صوتياً وتكتب الكلمات الأجنبية بحروف عربية، أن ننسى ما يؤول إليه هذا المفهوم بالتطور وتحريفة بالنقل بمضى الزمن (حسن فهمى ص ص ٢٠٢-٢٠٣) ولذا فمن الضرورى إعمال الذهن عند الترجمة وإيجاد المفهوم العربى المناسب للمعنى والبحث عن مترادفات صحيحة جديدة له فى العربية ، ومن الضرورى كذلك عدم التقيد فى اختيار اللفظ العربى بالمعنى الحرفى الذى ورد فى المعاجم ، أو المعنى اللغوى فى اللغة المنقول عنها. فاللغة ليست ثبتاً من المفهومات أو قائمة من الألفاظ ، بل نسق من العلاقات بين المفهومات أو الألفاظ.

وإذا ما أعطينا اهتماماً لتحديد وتوضيح المفهومات الأساسية فى علم الاجتماع المنشورة باللغة الأوروبية ، فإننا نواجه بهجوم على اللغة الصعبة وغير المفهومة. وليست كتابة بارسونز ببعيدة عن الذاكرة ولا ننسى بعد اتهامه بلغته الصعبة. ويدرك قارئ علم الاجتماع باللغة العربية ، كثرة المفهومات المعربة والدخيلة واللغة السقيمة التى تكتب بها بعض الكتب، رغم أن اللغة العربية تمتاز فى تركيباتها وجملها وألفاظها بقدرة لا مثيل لها على التعبير الدقيق (حسن فهمى ١٩). وقد يستخدم بعض الباحثين مفهومات شائعة بأسلوب غير مألوف أو يستعمل كلمات غامضة لوصف ظواهر مختلفة شائعة. وهذا من شأنه أن يؤدى إلى تعذرالتفاهم بين المشتغلين بعلم الاجتماع فى العالم العربى، كما يصعب فهم قضايا علم الاجتماع بسبب غموض المفهومات أو عدم الاتفاق على معناها، أو بسبب مفهوم يستخدمه أحدهم ولا يستخدمه الآخرون أو مفهوم أعطاه أحدهم معنى أنكره الآخرون أو أعطوه معنى مغايراً (أحمد تيمور : معجم تيمور الكبير ص- ١٠٥). فالمفهوم غير المحدد المعنى لا فائدة منه، لذا فمن الأجدى للمترجم التدقيق فى اختيار المعنى المتفق علية والمقبول عربياً.

وإذا ما استخدم دارس السلوك الإنسانى والباحث فى أمور المجتمع مفهومات خاصة به وحده أو مفهومات غامضة لوصف أحوال الناس وأفعالهم وعلاقاتهم واتجاهاتهم أو استخدم مفهومات غير مألوفة ، فإن هذا يزعج الشخص غير المتخصص مثلما يزعج ويثير حيرة الباحث المتخصص، إذ إن غموض اللغة يؤدى إلى ضياع أى جهد يبذل لتفسير النظم الاجتماعية وأفعال الناس واتجاهاتهم، بل استحالة البدء فى البحث ودراسة المجتمع.

وفى الحقيقة فإن إحدى القضايا التى تواجه المشتغلين بالعلم الاجتماعى هى

بالتحديد اللغة الاجتماعية غير المفهومة. وبعض هذه الاتهامات التى توجه إلى اللغة التى تكتب بها المؤلفات أو الأبحاث أو تترجم إليها المفهومات لها ما يبررها، فعدم الاتفاق على ترجمة المفهومات حقيقة لا تنكر والجهد الفردى فى ترجمة المفهوم أمر واقع. وهذان الأمران يحولان دون بلوغ العلم الاجتماعى درجة الاحترام الأكاديمي المنشود. ولغة علم الاجتماع مثل لغات العلوم الأخرى ، ليست محصلة مفهومات خاصة يصوغها الباحث ، أو لغة غامضة ، تعوق فهم المقصود من العمل الاجتماعى. ولذا يتعين تحديد مفهومات علم الاجتماع باللغة العربية وتعريفها وتحديد معناها ودلالاتها، وبدون هذا التحديد يصعب قيام علم اجتماع يعكس خصوصية هذه المنطقة.

والمفهومات الاجتماعية العلمية تتميز بأنها ألفاظ محددة ومجردة وعامه، كما أنها تستخدم استخداماً منطقياً منظماً • ولكل منظور من منظورات علم الاجتماع (البنائية الوظيفية أو الصراع أو التفاعلية الرمزية) مفهوماته من أجل توضيح الحقيقة الاجتماعية التى يهتم بها ويحاول وصفها وتفسيرها. فالمفهومات كلها تخبرنا بما يريد أن ننظر إليه وعما ننظر إليه.

إن المسألة الهامة أمام المشتغلين بعلم الاجتماع هى تحديد المفهومات وتعريفها، ولما كانت المعرفة فى علم الاجتماع تراكمية وتجريبية، فكل مفهومات وقضايا علم الاجتماع تتميز بالمرونة، أى ليست جامدة بل متغيرة ولها دلالتها فى الواقع الاجتماعى.

ولكن ماذا عن حال مفهومات علم الاجتماع التى يقرأها القارئ العربى أو يكتبها الباحث العربى ؟ إن أكثر المفهومات التى يرددها أساتذة علم الاجتماع فى قاعات الدرس أو يقرأها محبو العلم منقولة ومترجمة أو معربة. وعلم الاجتماع فى حالته الراهنة لم يساهم العرب فى إبداعه أو تطويره ولم يضيفوا إليه إضافات مثل تلك التى أضافها ابن خلدون، ولم يبدعوا مفهومات مثل المفهومات التى صاغها وأبدعها هذا العالم. وأصبحنا نعنى بمفهومات الآخرين أكثر مما نعنى بمفهومات ابن خلدون ، وأصبحنا نردد قضايا الآخر الأوربى وتفسيراته ونغلق العقل أمام قضايا ابن خلدون وغيره من العرب، بل نفسر قضايا العالم العربى بمفهومات غربية. أصبحت المفهومات والقضايا الغربية هى الأكثر شيوعاً والأكثر معرفة (Gouldner , pp15-16). وهذا القصور فى صياغة مفهومات عربية اجتماعية أصيلة وإدمان التعريب وعدم الاتفاق على معنى واحد للمفهوم الأجنبى أو لفظ عربى واحد للمفهوم الأجنبى المترجم كلها علامات تكشف أزمة علم الاجتماع فى بلدنا.

ومن نماذج المفهومات الاجتماعية المعربة ما يلى:

١- استخدام المترجم لفظ بيها فيرية بدلاً من الكلمة Behaviorism (سليم حداد

ص٣٣٤). شاع بين الاجتماعين المفهومات التالية: الإمبرالية، والكولونية، وسيبرناطيقا،العائلة البطريكية (هشام شرابى). ويعرب أحدهم System إلى سيستم ، وتنقل monograph إلى دراسات مونوجرافية (ديـاب ١١٥). وصرنا نقرأ أهداف المتروبول ص٢ والبيداجوى (دياب ص ٩٥) والكوميدرو (دياب)، والتيار موندية، وميثودولوجى (سليم حداد)؛ والاتجاه السيكولوجى ، الاتجاه السوسيولوجى ص ١٥٢ (بويوف) والتفسير سوسيوسيكولوجى، واستريوتايب (محمد جواد رضا) وسوسيولوجيا السكان (الغريب عبد الكريم)، والبرجماتية بويوف ص٣٠ والبراكسيوم (بويوف ص ٣٣)، والميكروسوسيولوجيا (مصطفى دندشلى) وماكرو سوسولوجى ، وإيكولوجيا، والهيراركية الهرمية (حافظ ديـاب ص ٨٩) وديالكتيك والأنومى، وتنشئة فيولوجية (ايكلمان) والفهم الأولمبى (ص ١٢٣زايتلن) وسوسيولوجيا الوحدات الصغيرة، وسوسيولوجيا الوحدات الكبيرة ؛ والماكرو اجتماعى (فريفر ص ٨٤)، وبعد النظرية Meta heory والنظريتان الاجتماعيتان الماورائيتان The two Metatheories Of society (زايتلين ص ١٩٥) ٢-ولقد واجه كثيرون صعوبة فى ترجمة اللفظ meta إلى العربية وهناك من رسمها بحرف عربية " ميتا" وهناك من نقل Meta Linguistic إلى ما وراء اللغة. وما بعد اللغة. واللغة الشارحة (زكى نجيب محمود) وكثرت كتابة Meta على النحو الآتى بالعربية ميتا وبالتالى قرأنا كثيراً، ميتا أنثربولوجيا وميتا سيكولوجيا (جون ستروك ص ١٢) كما تعرب Gendre إلى جندر، وتنقل مفهوم Ethos الذى ابدعة بورديو إلى ابيتوس... وهكذا فإلى متى يبقى التعريب مسيطراً على ساحة المفهومات فى العلوم الاجتماعية؟

والسؤال إلى متى يبقى التعريب؟

ومن ناحية أخرى هناك عدم اتفاق على ترجمة مفهومات كثيرة فكل مترجم يدور حول نفسه ولا يهتم بترجمات الآخرين ، ومن أمثلة المفهومات الأجنبية التى لها أكثر من ترجمة عربية ما يلى:

١- المعاينة (Observation) أو الملاحظة ٢- التحضير، التمدن، التجديد Urbanization ٣- العملية، الأفعولة Process ٤- إيداع (حسن صعب ص ١٧٥) تجديد Innovation ٥- التبصير (حسن صعب ص ١٩)Empathy ٦- وجوبى - المعيارى Normative ٧- القابلية للحركة التطبيقية (حسن صعب ص١٥٤) التفضيل operational ٨- البنية التحتية Infrastructure ٩- البنية الفوقية - مافوق البينوية Super Structure ١٠- الاختلالات الوظيفية " DysFunction والتعثر الوظيفى (فريفر ص ٦٨)، وظائف سيئة والعبء الوظيفى والإحباطات الوظيفية وانعدام الوظيفة. ١١- الدواليل Indicators (ابيار نصار ص ٨٤) ١٢- التصورات المشخصة Concepts Hypostatesis ١٣- المدينة الوسطى -

ترجمة حرفية Middle town مدينة أمريكية ١٤- المتغيرات النمطية والمتغيرات النموذجية ومتغيرات النمط Pattern Variable ١٥- التجريبي Emperisme (بويوف ٢٩) وترجمها عبد الحميد صبرى إلى التجريبى ١٦- استريوتايب - الأنماط الجامدة Streo type ١٧-العصرية (ايكلمان ص٥٧) Modernism ١٨- ما بعد الحداثة ما بعد التحديثPost-Modernism ١٩- التعادل التاريخي الحضاري أو المدخل التاريخى الثقافى (ايكلمان٨٩) Cultural Historique ٢٠- ثقافة الأقزام السود Pieds Noirs وتلك ترجمة غير دقيقة فالأدق ثقافة الأفارقة ٢١- أنومى أو فقدان المعايير (محمد على ص ١٨١)، Anomie الفوضوية (اتجاهات أساسية فى علم الاجتماع٥٩٧)٢٢ Institution - titutionalization تترجم إلى المؤسسات أو النظام أو القواعد المؤسسية. ٢٣- البصيرة أو الانعكاسية Reflexivity ٢٤- الاتفاق أو الإجماعConsensus ٢٥- السيستم أو المذهب أو المنظومة أو النسقSystem٢٦-الاغتراب أو الاستلاب أو الضيعةAlienation ٢٧- الماكرو سوسيولوجيا أو علم الاجتماع البيانى Macro Sociology) علم اجتماع الوحدات الصغيرة Micro Sociology ٢٨- الحالة أو الوضع أو المركز Status ٢٩- الطبقة أو الشريحةStratum ٣٠- إثنوميثودولوجيا أو نظرية المنهجية العامة أو منهجية النظام الاجتماعى أو الأثنية المنهجية Ethnomethodology ٣١- النقلة أو الحركة أو الحراكMobile ٣٢- الخيال السيوسيولوجى أو المخيلة الاجتماعية أو الخيال الاجتماعىSociological Imagination ٣٣- النخبة أو الصفوةElite ٣٤- مجتمع الطغمة Hierarchy ٣٥- قضايا الإنسية أو النزعة الإنسانية Humanism ٣٦- السوسيو مترى، أو القياس الاجتماعى Sociometry ٣٧- البنية المجهرية Mico structure ٣٨- بناء أو بنية Structure ٣٩- التفاعل أو التأثيرInteraction ٤٠-تكوينات اجتماعية أو تشكيلات اجتماعية Social Formations ٤١- الأمراض الاجتماعية أو الباثولوجيا الاجتماعيةPathology ٤٢- النسق المترابط بقهر الجماعات التى تتوافق قهريا أو الجماعات التى تتوافق إلزاميا Imperatively coordinated system ٤٣- الجماعة أو المجتمع المحلى أو العشيرة أو الرابطة Gemenschaft ٤٤-المجتمع Gestlscaft أو التعاقد أو ٤٥-شبه جماعات أو الجماعات الزائفة أو الجماعات غير المنظمة Quasi groups - ٤٦-النظرية الظاهرية أو الفينومنولوجى Phenomenological SocIology

لقد اخترنا هذه النماذج من التعريب وترجمة المفهوم ، من أكثر من باحث فى علم الاجتماع ، ومن أكثر من بلد ، وكلها تؤكد لنا أن لكل باحث مفهوماته، بل ولكل بلد مفهوماته وألفاظه.

ثالثاً: ترجمة الكتب

كانت بداية حركة ترجمة علم الاجتماع إلى العربية حركة مخلصة تبغى ترجمة الأعمال الكاملة الأساسية لرواد علم الاجتماع الفرنسى عامة ، وكانت المؤلفات التى تصدر بالعربية محاولة رائدة لنقل الموضوعات والقضايا والأفكار التى طرحها دوركايم وأتباع مدرسته إلى دارسى علم الاجتماع فى العالم العربى. وكان المترجمون كلهم من أنصار تنوير العقل وتعريف الطلاب والقراء بفكر عصر التنوير ، كما كانوا يسعون إلى إعداد جيل من الباحثين الاجتماعيين المسلحين بالثقافة العلمية يسهم فى دراسة أحوال هذا المجتمع والنهوض به.

ولقد صاحب حركة الترجمة من الفرنسية إلى العربية فى مصر ، حركة مماثلة فى العراق ، كانت تهدف إلى ترجمة كتب علم الاجتماع من الإنجليزية إلى العربية، وترجم عبد الحميد عباس كتاب الجماعة Community تأليف ماكيفر فى منتصف العقد الثالث (القزاز عياد :- ص ١٧٦) .

ولكى نكون منصفين فإننا نؤكد أن الترجمات التى صدرت فى علم الاجتماع ألوان وأنواع . فالبعض رفيع المستوى ، وكأنه خلق جديد ، وبعضها يكشف عن تدنى المستوى، وبعضها يكشف عن الجهل بقواعد الاشتقاق والنحت وركاكة العبارة والنقل الصوتى للكلمة الأجنبية ورسمها بحروف عربية ، وفتور همة البحث عن معانى الكلمات فى المعاجم العربية. والبعض الأخر ينقل إلى العربية ولا يشير إلى مصادره، ولا يوثق ولا ينسق بين الفقرات.

ولقد سعى الرواد الأوائل إلى نقل الأعمال الأساسية لكبار أساتذة علم الاجتماع الفرنسيين، أما الآن فقد تحول بعض المترجمين إلى ترجمة الكتب المدرسية والشارحة لجهود علماء الاجتماع التى تفيدهم فى عملية التدريس ، بل بعضها قد لا يرقى إلى مستوى العمل الأكاديمى المتميز ، وبعض الكتب تفسد عقول الطلاب وتهمشهم بما تعرضه من نماذج وأمثلة غريبة عنا، وبما تستشهد به من بيانات وإحصاءات عن واقع غريب عنا ومختلف ثقافيا واقتصادياً. فلم نعد نترجم الأعمال المتميزة فى علم الاجتماع إلا قليلاً، وأصبحت الترجمة ساحة يوجد بها الذهب والجوهر والحمص والنوى. وبرغم كثرة الترجمات فقليل منها يعتمد عليها فلم نترجم لكبار علماء للأساتذة مثل بارسونز وميرتون وفيبر. إن الإحجام عن ترجمة الأعمال الأساسية للأساتذة الكبار ، يؤكد لنا انقلاب حركة الترجمة. ولكن إذا كان هناك خوف من ترجمة بارسونز ومرتون لصعوبة أسلوب الأول وفذلكته، أو فيبر للجهل باللغة الألمانية؛ فلقد كانت هناك جهود لترجمة بوتومور، وكلود ليفى ستراوس، وفبلن، ولنتون، وفريزر، وجينزبرج، وليفى بريل، ريمون آرون، والتون مايو، وأوسيبوف الروسى الجنسية

وآلان تورين، وجرامشي، وبورديو، وجيدنز. وهذه الجهود فى الترجمة لم تترجم كل أعمال العالم الاجتماعى ، بل يختار المترجم من يشاء وما يشاء، ولذا يترجم عمل واحد للبعض أو أكثر من عمل للبعض الآخر. ولكن ماذا عن اللغة التى يترجم إليها ؟ وهل اللغة العربية مهيأة للتعبير عن علم الاجتماع؟ إذا ما آمنا بأن اللغة وعاء الفكر وأداة المعرفة وناقل المعلومات، وأنها تعكس رؤية عن العالم وتجسد الواقع، ويبلور من خلالها البشر تصوراتهم عن العالم، بالإضافة إلى أنها أداة من أدوات الاتصال ونقل الأفكار، ووسيلة تكوين الوعى عن المجتمع؛ فإن غموض لغة بعض الأعمال المترجمة- بل بعض المؤلفات وهذا هو الأمر يعنى غموض الأفكار لدى المترجم، وعدم وعيه بالقضايا التى يترجمها وقضايا المجتمع الذى يترجم منه أو إليه.

وهذا الغموض فى لغة الكتاب المترجم ، لن نرجعه إلى عجز اللغة العربية عن مسايرة العلم الاجتماعى الحديث أو غلبة الحضارة الغربية، أو أننا عدنا إلى عصر انحطاط اللغة أو احتراف الترجمة لهثا وراء الكسب. وتلك مبررات سهلة لا تعبر عن الواقع ؛ فالأمر يرجع إلى عدم التمكن من اللغة العربية. والعيب ليس فى اللغة ؛ بل " العيب فينا " وبعبارة أدق العيب فيمن يترجم. فاللغة العربية تمتاز فى تركيباتها وجملها وألفاظها بمقدرة لا مثيل لها على التعبير الدقيق (حسين فهمى ص١٩)، كما تمتاز بالحيوية والمرونة والقوة. وهى ليست جامدة بل متغيرة مثل كل عناصر المجتمع ، كما أنها يسر لا عسر، وهى وسليتنا للوعى بهذا العالم، كما " أنها الثقافة نفسها " (زكى نجيب محمود ص ٨١). والزعم بأن اللغة العربية عاجزة أو قاصرة عن مسايرة حركة الترجمة زعم غريب بل مرفوض. إنها لغه صالحة للإنتاج الفكرى فى كل أنواعه والتعبير عن العلوم الحديثة أحسن تعبير ، وإنتاج معارف راقية أو إعادة إنتاج ما أبدعه عقل الآخر ؛ بل لا نهضة لنا إلا من خلال لغتنا العربية (نجاة عبد العزيز المطوع ص ص ٥-١٤).

وتبين لنا القراءة المتأنية لبعض الأعمال المترجمة فى السنوات الأخيرة إلى اللغة العربية ، أن بعضها يتسم بالغموض، وأن القلة منها يمكن الاعتماد عليها. كما تكشف عن عجز صياغة عبارات محكمات مقبولة ، والبعض يترجم بلغة سقيمة غير دالة وغير معبرة وغير واضحة ، فبعدما افتقدنا المفهومات الدالة المحكمات ، افتقدت بعض الأعمال دقة الترجمة. ويجد كثير من القراء حتى من المتخصصين فى العلم الاجتماعى والذين ضاع عمرهم فى دراسة علم الاجتماع ، صعوبات جمة فى قراءة بعض الترجمات. وترجع هذه الصعوبة إلى جهل بعض المترجمين فى عصرنا بلغتهم العربية وعدم تمكنهم من اللغة وقواعدها ، أو كونهم من المحترفين ، وليسوا من أهل العلم والتخصص فقد غلبت حرفة الترجمة وضاع المعنى الاجتماعى ، مادام المترجم لم يحط بقضايا علم الاجتماع خبراً ، ومحاولة بعض المترجمين أن يفرضوا علينا

عبارات وأساليب ومفهومات لسنا مضطرين إلى قبولها واستعمالها . رغم أننا نجد فى العربية غنى وثراء يغنينا عن العثرات والهفوات .

ونتساءل مرة أخرى هل الترجمة جزء من خطة؟ وَماذا يترجم ؟ وما اللغات التى يترجم منها؟

يلاحظ أن أكثر الترجمات تعبر عن جهود أو مبادرات فردية وقلة المشاركة الجماعية. وكل مترجم يدور حول نفسه ، وما يترجم يعكس هوى المترجم أو يعكس اهتماماته. والحقيقة أننا عرفنا فى القرن الماضى ، جهود لجنة التأليف والترجمة والنشر، وقرأنا ترجمات فى علم الاجتماع صدرت وفق خطة تخطط لها وزارة المعارف ثم وزارة التربية والتعليم أو وزارة التعليم العالى فى مصر وسوريا أو وزارة الثقافة فى بلدان عربية كثيرة. ولن ننسى جهود مشروع الألف كتاب الأول ثم مشروع الألف كتاب الثانى فى مصر. والترجمات التى نشرت من خلال هذين المشروعين رغم قلتها كانت مختارة ومنتقاة. ولا زال يصدر المشروع القومى للترجمة التابع للمجلس الأعلى للثقافة فى مصر ترجمات هامة ، وأصدرت سلسة عالم المعرفة الصادرة من الكويت بعض الترجمات التى تضم أحياناً أعمالاً راقية وهامة. ونحن إن نسينا فلن ينسى جيل السبعينيات جهد مجموعة علم الاجتماع المعاصر بقيادة محمد الجوهرى ، الذين بذلوا الجهد مضاعفاً منذ عام ١٩٧١ ، فترجموا فى البداية كتاب "ميادين علم الاجتماع" وضم موضوعات متعددة فى علم الاجتماع، ثم ترجم كتاب "نيقولا تيماشيف": نظرية علم الاجتماع طبيعتها وتطورها. وتتابعت الترجمات حتى تجاوز عددها تسعين كتاباً مترجماً، عدا الكتب المؤلفة.

ولكن القليل من الترجمات ينشر وفق خطة ، والكثير يصدر حسب هوى المترجم أو مسايرة الموضة. والموضة فى العقد الأول من القرن الواحد والعشرين ترجمة أعمال بورديو وجيدنز، ومن قبلهما فى العقد الماضى ترجمت أعمال الآن تورين وهبرماس وبوتومور. والأمر الواضح أنا نفتقد خطة واضحة لترجمة أعمال علماء الاجتماع ذوى الشهرة العالمية. وإذا كان الهدف من الترجمة فى البداية واضحا ويركز على خدمة المثقف والمجتمع ، فإن الهدف قد توارى على استحياء وتحول إلى هدف عملى ونفعى لصالح المترجم.

والأهم من ذلك ندرة العنصر البشرى المؤهل للترجمة الدقيقة الذى يجمع بين الثقافة الاجتماعية العلمية ومعرفة أسرار اللغة. ولا نجد بين الكم الكبير من الترجمات التى تنشر وتقرأ إلا عدداً قليلاً من الترجمات، يمكننا أن نثق فيه.

وبقدر ما تزايدت أعمال الترجمة مع جودة بعضها وكثرة الترجمات غير الدقيقة قلت البحوث والمسموح والدراسات الاجتماعية التى تؤكد مساهمتنا فى فهم

الواقع الاجتماعى الذى حولنا ، ومن ثم عجزنا عن فهم الإنسان العربى ، وتفسيرنا لسلوكنا ونظمنا الاجتماعية .

وهذا يعنى الغياب الذهنى للباحثين الاجتماعيين واللهث فيما يعتقدون أنه العمل الأسهل، ومن ثم الجلوس وراء المكتب بدلاً من الطواف فىالقرى والنجوع وشوارع المدن، وسؤال الآباء والأمهات والأزواج والزوجات والعمال والفلاحين والطلبة والشبان والشيوخ عن اتجاهاتهم أو ملاحظة سلوكهم. لقد أدى القصور عن فهم الواقع إلى الاهتمام بالترجمة وبالتأليف والتوليف. وصعب تحقيق المهمة الأساسية لعلم الاجتماع فى بلدنا والعجز عن إبداع مفهومات اجتماعية عربية نابعة من واقعنا الاجتماعى والثقافى بما له من خصوصية تميزه.

ولقد اهتم المترجمون العرب بترجمة الأعمال التى صدرت باللغتين الفرنسية والإنجليزية ولم يترجم إلا كتاب واحد عن الألمانية ألفه ماكس فيبر الذى ترجمه أسعد رزق وعنوانه " صنعه العلم " ١٩٧٢ ، وترجم كتاب واحد عن اللغة الإيرانية ألفه على شريعتى " العودة إلى الذات ١٩٨٦" ترجمه الدسوقى شتا، وكتاب واحد عن اللغة الروسية عنوانه " علوم الاجتماع تأليف ش خ شاخنار، ولم يبين اسم المترجم. أما كتاب قضايا علم الاجتماع تأليف أوسيبوف ، فقد ترجمة سمير نعيم وزميله إلى العربية نقلا عن النص الإنجليزى. ومن هذا يتضح أن الفكر الاجتماعى العلمى السائد والمهيمن هو من نتاج المدارس الأمريكية والإنجليزية والفرنسية.

وفى مصر البلد الذى انطلقت منه حركة ترجمة كتب علم الاجتماع الفرنسية ، اكتفى المترجمون بترجمة الكتب والمؤلفات المكتوبة باللغة الإنجليزية. وتكاد تختفى الآن كتب علم الاجتماع المترجمة عن اللغة الفرنسية إذ انتقلت ترجمة كتب علم الاجتماع المكتوبة بالفرنسية إلى أهل المغرب العربى ولبنان وسوريا ، الذين تملكوا ناصية اللغة الفرنسية ، ولكن هؤلاء غلب عليهم طابع التعريب.

وعرفنا الترجمات غير المباشرة ، أى المترجمة عن لغة وسيطة تغاير اللغة التى كتب بها المؤلف الأصلى كتابه. وبعبارة أوضح إعادة ترجمة الكتاب المترجم ، مثل كتاب مانهايم "الأيديولوجية والطوبائية" ١٩٦٨ الذى ترجمه إلى الإنجليزية عن لغته الأصلية الألمانية ، وكتاب عالم الاجتماع الفرنسى ليفى جميس إيل " إدوار شليز ثم ترجمه إلى العربية " عبد الجليل الطاهر من بغداد عام ١٩٦٨". " العقلية البدائية " الذى ترجمة عن الفرنسية إدورت شيلز وترجمه إلى العربية محمد القصاص عن اللغة الإنجليزية، ولم يترجم عن الفرنسية.

وأدت الجهود الفردية فى ترجمة كتب علم الاجتماع إلى اللغة العربية إلى تكرار ترجمة الكتاب الواحد، سواء صدرت الترجمتان أو الثلاث فى بلد واحد أو أكثر من

بلد. ونقدم على سبيل المثال الكتب التالية التى تتكرر ترجمتها:

الكتاب الأول: التحضر فى الشرق الأوسط تأليف كوستلو فينست

١- الترجمة الأولى : عبد الهادى والى وغريب سيد أحمد، مصر، ١٩٨٨

٢- الترجمة الثانية : قام بها أبو بكر باقادر تحت عنوان " علم الاجتماع الحضرى. التمدن فى الشرق الأوسط "، ١٩٨٠

٣- الترجمة الثالثة : التحضر فى الشرق الأوسط ترجمة رمضان عربى خلف الله، طرابلس، ليبيا، ١٩٨٤

الكتاب الثانى: مدخل لسوسيوجيا التنمية تأليف ويبستر أندرو

١- الترجمة الأولى : حمدى حميد يوسف . نشر فى بغداد، ١٩٨٦

٢- الترجمة الثانية : مدخل إلى علم اجتماع التنمية ترجمة عبد الهادى والى والسيد الزيات، الإسكندرية، د . ت.

الكتاب الثالث : Main Trends in Sociology تأليف لازارسفيلد

١- الترجمة الأولى : أسعد عرابى وآخرين، وزارة التعليم العالى السورية، دمشق، ١٩٧٦.

٢- الترجمة الثانية : الاتجاهات الأساسية فى علم الاجتماع ترجمة عادل الهوارى، الكويت، مكتبة الفلاح، ١٩٧٦.

٣- الترجمة الثالثة : الاتجاهات الأساسية فى علم الاجتماع ترجمة أحمد النكلاوى (مصرى) وعواطف فيصل (سعودية)، القاهرة، نهضة الشرق، ١٩٨٠.

وشتان بين الترجمة السورية والترجمة المزدوجة الجنسية.

الكتاب الرابع : Sociology as Social Criticism **علم الاجتماع من منظور نقدى تأليف بوتومور**

الترجمة الأولى بعنوان علم الاجتماع والنقد الاجتماعى: محمد الجوهرى والسيد الحسينى وعلى ليلة وأحمد زايد، القاهرة، دار المعارف، ١٩٨١.

الترجمة الثانية: علم الاجتماع منظور اجتماعى نقدى ترجمة عادل الهوارى. نهضة الشرق، ١٩٨٠.

الكتاب الخامس : الصفوة تأليف بوتومور

الترجمة الأولى : صدرت بعنوان "الصفوة والمجتمع" ترجمة محمد الجوهرى وآخرين، الطبعة الأولى، القاهرة، دار الكتب الجامعية، ١٩٧٢.

وترجمة أخرى قام بها جحا جورج تحت عنوان "النخبة والمجتمع"، بيروت، صدرت فى نفس العام بعد الترجمة الأولى ببضعة أشهر. وهى متباينة فى أسلوبها وفى مصطلحاتها.

الكتاب السادس: المؤلف إليا مرسيا اسم الكتاب La sacre et le Profone

ترجمة نهاد خياطة تحت عنوان " رمزية الطقس والأسطورة "،دمشق، ١٩٨٧

والترجمة الأخرى ترجمها عبد الهادى عباس تحت عنوان "المقدس والمدنس دمشق" ١٩٨٨

الكتاب السابع: كتاب جاستون بوتول Histoire De la Sociologie

الترجمة الأولى : غنيم عبدون تحت عنوان تاريخ علم الاجتماع .

الترجمة الثانية : ممدوح حنفى تحت عنوان تاريخ السوسيولوجيا، ١٩٨٤

الترجمة الثالثة : تاريخ علم الاجتماع قام بالترجمة محمد عاطف غيث وعباس الشربينى المتخصص فى " اللغة الفرنسية، ١٩٦٤

الكتاب الثامن: xplaination and Mangement of Change تأليف دوس . س.س.

- الترجمة الأولى: أحمد النكلاوى وعبدالهادى الجوهرى ١٩٨١.
- الترجمة الثانية: التغير الاجتماعى والتحديث ترجمة أحمد مصطفى خاطر، ١٩٨٨.

وتبدو المرارة أخف وطأة لو تكررت ترجمة العمل الواحد فى بلدين عربيين أما أن يتم ترجمة الكتاب الواحد أكثر من مرة فى بلد واحد فى عقد واحد، فهذا أمر محير يحتاج إلى فهم.

ولقد انحصر الجهد فى إصدار معاجم علم الاجتماع على الترجمة وحدها بعدما طويت الصفحات التى تظهر جهود ابن خلدون فى صياغة مفهومات اجتماعية. ونقصد بالمعاجم المرجع الذى يشتمل على المفهومات الاجتماعية مرتبة عادة ترتيباً هجائياً مع تعريف كل منها وذكر معلومات عنها من صيغ ونطق واشتقاقات ومعان واستعمالات مختلفة (المسدى ص٥). والمعاجم المتداولة والمنشورة والمنتشرة بين

قراء علم الاجتماع العرب نقلت من الإنجليزية أو الفرنسية إلى العربية. ورغم تعرفنا على علم الاجتماع منذ بدأ تدريسه فى الجامعات المصرية والعراقية منذ العشرينيات من القرن الفائت ، فإننا لم ننجح فى إصدار قاموس اجتماعى يضم بين دفتيه مفهومات اجتماعية عربية أصيلة. كما أننا لا نملك معجماً أو موسوعة اجتماعية تستوعب مفهومات اجتماعية لها معان ودلالات عربية. فعلم الاجتماع الذى ندرسه وندرسه علم بلا لسان عربى. فمفهومات العلوم هى الصورة الكاشفة لأبنيتها المجردة. والمفهومات الاجتماعية الأجنبية التى نترجمها أو نعربها ونرتبها فى قواميس ومعاجم، تحددت وتشكلت فى مجتمعات مغايرة لنا فى ثقافتها وعاداتها ومستواها الاقتصادى والاجتماعى والتكنولوجى، كما ولدت فى رحم ثقافات أخرى غير ثقافتنا؛ فهى داله على ثقافتهم لا على ثقافتنا.

وأشهر المعاجم التى ترجمت إلى العربية

١- **معجم العلوم الاجتماعية**، ١٩٧٥، تصدير ومراجعة إبراهيم بيومى مدكور ، إعداد نخبة من الأساتذة المصريين والعرب المتخصصين. القاهرة الهيئة العامة للكتاب. والأمر الذى يستحق الانتباه أن مشروع هذا المعجم بدأ عام ١٩٦٢ بالتعاون المشترك بين اليونسكو ومجمع اللغة العربية بالقاهرة. وصدر العمل فى عام ١٩٧٥. وقد ضم المعجم مفهومات فى علم الاجتماع والإحصاء السكان والاقتصاد وعلم النفس والسياسة والقانون.

٢- **المعجم الديموجرافى المتعدد اللغات** ١٩٦٧ ، ترجمة عبد المنعم الشافعى وعبد الكريم اليافى. إشراف وزارة الثقافة فى الجمهورية العربية المتحدة.

٣- **قاموس مصطلحات الإثنولوجيا والفولكلور**، تأليف إيكه هولتكرانس، ترجمة محمد الجوهرى وحسن الشامى، القاهرة، دار المعارف، ١٩٧٢. أعيد طبعه فى سلسلة ذاكرة الكتابة، القاهرة، الهيئة العامة لقصور الثقافة، ١٩٩٩، (٤٦١ص).

٤- **قاموس علم الاجتماع** :١٩٧٩ أشرف عليه عاطف غيث نقلاً عن مجموعة قواميس علم الاجتماع، وحرره محمد على محمد والسيد عبد العاطى وسامية جابر، الهيئة العامة للكتاب. لم تحدد القواميس التى نقلت منها المفهومات الواردة فى القاموس.

٥- **معجم علم الاجتماع** ١٩٨١ تأليف ميتشل دنكان ترجمة إحسان محمد الحسن (العراق) . نشر فى بيروت.

٦- **المعجم النقدى لعلم الاجتماع** ١٩٨٦ تأليف د بودون وف بوريكو ترجمة سليم حداد بيروت المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر.

٧- **قاموس المصطلحات السياسية والسكانية والاقتصـــادية والاجتماعيـــة ١٩٩٠.** تأليف سامى ذبيان وآخرين. لندن مؤسسة رياض الريس للنشر. وقد عرض المحـــرر المفهوم باللغتين الفرنسية والإنجليزية ومقابله باللغة العربية.

٨- **موسوعة العلوم الاجتماعية** ١٩٩٤ ترجمة عادل الهوارى وسعد عبـــد العزيـــز مصلوح، بيروت، مكتبة الفلاح. والمترجم الآخر متخصص فى اللغة العربيـــة!! وقـــد اعترف الهوارى أن هذه الموسوعة تظهر بالعربية على نحو صـــريح بالنســـبة إلـــى مصدرها وهى بذلك تبرئ نفسها من خلط التأليف بالترجمة وانتحال جهود الآخرين .

٩- **موسوعة علم الإنسان**، تأليف شارلوت سيمور سميث، ترجمة مجموعـــة مـــن أساتذة الجامعات بإشراف ومشاركة محمد الجوهرى، المجلس الأعلى للثقافة، المشروع القومى للترجمة، القاهرة، ١٩٩٨، (٨٧٥ص).

١٠-**موسوعة علم الاجتماع**، تأليف جوردون مارشال، وصـــدرت فـــى ٣ مجلـــدات ترجمها إلى العربية فريق عمل يضم مجموعة من المتخصصين فىعلم الاجتماع. وقام بالمراجعة والمشاركة فى الترجمة ، رجل يـــؤمن بالعمـــل الجمـــاعى وهـــو محمـــد الجوهرى. وقد صدر هذا العمل ضمن المشروع القومى للترجمـــة المجلـــس الأعلـــى للثقافة، القاهرة بين عامى ٢٠٠١،٢٠٠٠. (تقع فى نحو ١٨٠٠ صفحة).

ولقد امتدت سطوة الترجمة إلى **المقاييس والاختبارات الاجتماعية** التى استخدمت لقياس اتجاهات وآراء وأفعال شعوب أخرى، وحققت نتائج طيبة فـــى البلـــدان التـــى صممت من أجلها. وقد ترجم البعض هذه الاختبارات والمقـــاييس ترجمـــة كاملـــة أو بعض فقرات منها،، وأعيد استخدامها فى مجتمعاتنا. وقد انتشرت ترجمـــة المقـــاييس واستمارات البحث المكتوبة باللغة الإنجليزية فى بلدان الخليج. وأبناء الخليج هم الأكثر رغبة وإيماناً بالدراسات التجريبية وترجمة المقاييس والاختبارات واستمارات البحـــث من غيرهم. وهكذا استبدل بعملية إبداع مقاييس واستمارات بحث تهدف قياس واقعنـــا قياساً صادقاً ، ترجمة المقاييس والاختبارات التى نالت شهرة فى بلدانها. ومـــن هنـــا أصبح دور الباحث هامشياً وتحول إلى ملاحظ أو دارس ســـلبى للحيـــاة الاجتماعيـــة، مقتدياً فى دراسته بأدوات بحث صممت لمجتمع آخر لجمع بيانات لا تعبر بصدق عن واقع مجتمعاتنا.

وإذا كان البعض يترجم المقاييس والاختبارات كلهـــا أو بعـــض أجـــزاء منهـــا والبعض يعدل فيها ويحورها، فإن قلة هى التى تهتم بتصميم أدوات بحث جديدة، هـــذا

هو العمل النادر والصعب. وقد ساهمت ترجمة استمارات البحث والمقاييس على الاهتمام بالتحليل الكمى وضمور التحليل الكيفى، وتهميش دور علماء الاجتماع فى المنطقة، بعدما تحول الباحث إلى ملاحظ سلبى منفصل عن الحياة الاجتماعية مدعيا الحياد، وهذا وهم.

ولقد ازداد الاهتمام بالمقاييس الإحصائية المترجمة ، ولا نقلل من براعة الخليجيين فى استخدام التحليل الإحصائى والحاسوب وبرامجه ، ولكن هذا التفوق فى استخدام علماء الاجتماع المقاييس المترجمة والأساليب الإحصائية يقابله تنازل الباحثين الاجتماعيين فى تلك البلدان عن دورهم ومسئولياتهم السياسية والاجتماعية نحو أوطانهم.

وثمة أمثلة كثيرة توضح مدى انتشار الأساليب الإحصائية والمقاييس المترجمة ، نختار منها ما يلى :-

•والمثال الأول استخدم أحد الباحثين لدراسة عدم الاستقرار الأسرى فى المجتمع الكويتى مقياس:

Booth ,A. Johnson and D,Edward: Measuring Marital Instability of Marriage and the Family .

وقد اعتمد هذا الباحث على اختبار مقياس ليكرت لقياس الاختبارات الخاصة بعدم الاستقرار الأسرى فى الكويت ، واستخدم فى ذلك اختبار (ت) واختبار معدل الانحدار المتعدد. والسؤال هل الاستقرار الأسرى فى الكويت يماثل ويعادل الاستقرار الأسرى فى أمريكا !؟

•دراسة ثانية عن طبيعة العلاقة بين صراع الأدوار الأسرية والأدوار العملية (حسبما يسميها الباحث) وتأثيرها على حياة الفرد داخل المنظمة وخارجها بمدينة الرياض. وقد استخدم الباحث لقياس متغير صراع تداخل الأدوار ومتغير صراع الدور الوظيفى ومتغير صراع الدور الأسرى مقياس Kopelman ، كما اعتمد فى التحليل الإحصائى على مقياس ليكرت الخماسى، واستخدم مقياس Miler لقياس الرضا الوظيفى والرضاء الأسرى مثلما استخدم مقياس Gurin لقياس الرضا عن الحياة.

•دراسة ثالثة استخدمت المقاييس المترجمة تصنف ضمن موضوعات علم الاجتماع التربوى وعنوانها " دراسة مسحية لعوامل النظام المدرسى المؤثرة فى مستوى التزام المدرسين بالعمل فى المدارس الثانوية". وقد اعتمد هذا الباحث فى بناء بعض جوانب أداة البحث على مجموعة من المؤشرات التى استخدمها د.سنهولتز وسمبسون. واعتمد على المعادلة الإحصائية ركورنباخ لحساب معامل ثبات أسئلة الاستبانة.

•مثال رابع للاختبارات المترجمة كان موضوعها " العلاقة بين البعد الزمنى للامتحانات والبعد التحصيلى للطلاب ". وقد تم استخدام الحزمة الإحصائية للحاسوب الشخصى spss/p.c لتعريبها وتحليلها ، واستخدام الباحث مقياس النزعة المركزية Central Tendency لمعرفة خصائص التوزيعات التكرارية ومقياس المنحنيات الاعتدالية Multiple Regression

•مثال خامس : قياس " محددات الولاء التنظيمى فى القطاع الصحى الحكومى بالرياض " ولقد استخدم الباحث: مقياس Porter ويتضمن ٩ عبارات تبناها الباحث، مقياس ليكرت الخماسى، مقياس كانينفو للاندماج الوظيفى اقتبس عشر عبارات، مقياس كوبلمان لقياس صراع الأدوار اقتبس ثمان عبارات.

ولم يعرف الباحث أن هناك عربياً صمم مقياساً باللغة العربية لقياس صراع الأدوار وربما يرجع عدم المعرفة إلى إيمان الباحث بتفوق العقل الأمريكى!!!

هذه الأمثلة القليلة للمقاييس المترجمة تؤكد سطوة الترجمة على عقول الكثيرين من المشتغلين بالبحث الاجتماعى، وهم لا يجدون فى ترجمة الاستمارات والمقاييس المترجمة حرجاً ماداموا يستوردون الطعام والملبس والسيارة والسلاح !

ونحن نسأل، هل تساءل هؤلاء المؤمنون والمدمنون للأعمال المترجمة – بعد ما يزيد عن ٧٥ عاماً من تدريس علم الاجتماع فى جامعاتنا المصرية والعراقية وأكثر من أربعين عاما فى بعض دول الخليج – هل ما يترجمونه وينقلونه إلى العربية يعد علماً– مثل علم الطبيعة وعلم الأحياء والهندسة– أم أفكاراً نابعة من واقع اجتماعى وسياسى واقتصادى معين ، تسعى لتغيير الواقع الاجتماعى إلى مجتمع أفضل يحترم ويؤصل ديننا وعاداتنا وتقاليدنا ولا يزدرى تاريخنا؟ وهل هذه الأفكار صادقة أم مضللة ومشوهه لفكر الإنسان ومزيفة لوعيه، ومن ثم تخرب النسيج الاجتماعى (جلال أمين) نتيجة عدم الدقة فى انتقاء الأعمال المترجمة وعدم مناقشة الأفكار التى بين دفتى الكتاب المترجم وتفنيدها أو إثباتها والاقتصار على الاستشهاد بالأمثلة التى يعرضها المؤلف فى كتابه. وهى أمثلة غريبة عن مجتمع المترجم مثلما هى غريبة عن مجتمع الطالب ، مما يؤدى إلى إحساس الطالب إبن العشرين بالاغتراب أو الدونية أو يشعر بأن ما يدرسه جواز مرور للحصول على الدرجة العلمية تنتهى الصلة به بعد الامتحان.

المراجع

١– إبراهيم زكى خورشيد، الترجمة ومشكلاتها، القاهرة، الهيئة العامة للكتاب.
٢– أحمد تيمور، معجم تيمور الكبير فى الألفاظ العامية، تأليف أحمد تيمور تحقيق حسين نصار، "القاهرة، الهيئة العامة للتأليف والنشر.

٣-أحمد زايد مشرفا، الببليوجرافيا الشارحة للترجمات العربية في علم الاجتماع والأنثروبولوجيا " القاهرة- كلية الآداب جامعة القاهرة . مركز البحوث والدراسات الاجتماعية، ١٩٧٧.
٤-أنصار بيار، العلوم الاجتماعية المعاصرة ، ترجمة نخلة فريفرر، بيروت، المركز الثقافى العربى، ١٩٩٢.
٥-ايكلمان ديل، الكتابة الأنثربولوجية عن الشرق الأوسط، مركز دراسات الوحدة العربية، مجلة المستقبل العربى، العدد ١٣٤، عام ١٩٩٠.
٦-بودون . ر المعجم النقدى لعلم الاجتماع، تأليف : ر. بودون ،وف.يوريكو. ترجمة " سليم حداد " بيروت، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، ١٩٨٦م.
٧-تيرنر جوناثان، بناء نظرية علم الاجتماع تأليف : جوناثان تيرنر ترجمة محمد سعيد فرح -الإسكندرية، منشأة المعارف ٢٠٠٠ م.
٨-جلال أمين، بعض مظاهر التبعية الفكرية فى الدراسات الاجتماعية فى العالم الثالث فى: ندوة إشكالية العلوم الاجتماعية فى العالم العربى .
٩-حسن حسين فهمى، المرجع فى تعريب المصطلحات العلمية والفنية والهندسية أوصى بنشره مجمع اللغة العربية، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية .
١٠- حسن صعب، تحديث العقل العربى، الطبعة الثانية، بيروت، دار العلم للملايين ١٩٧٢
١١- روشية جى، مدخل إلى علم الاجتماع العام، ترجمة مصطفى دندشلى، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات، ١٩٨٣م.
١٢- زايتلن ارفنج، النظرية المعاصرة فى علم الاجتماع. دراسات نقدية - ترجمة محمود عودة وإبراهيم عثمان، الإسكندرية، دار المعرفة، ١٩٩٣م.
١٣- الزبيدى، السيد محمد مرتضى الزبيدى، تاج العروس المجلد السادس= تحقيق عبد السلام هارون، الكويت وزارة الإرشاد والأنباء ١٩٦٩.
١٤- سامية اسعد، ترجمة النص الأدبى، عالم الفكر، المجلد ١٩، العدد ٤، وزارة الإعلام الكويت مارس ١٩٨٩م.
١٥- ستروك جون، البنيوية وما بعدها- من ليفى ستراوس إلى دريدا، تحرير جون ستروك ترجمة محمد عصفور، الكويت، عالم المعرفة، العدد ٢٠٦ .
١٦- شفيق الغبرا، معوقات البحث فى العلوم الاجتماعية العربية، مجلة العلوم الاجتماعية، المجلد ١٧، العدد ٣، خريف ٨٩ .
١٧- عبد السلام المسدى، قاموس اللسانيات، الدار العربية للكتاب، ١٩٨٤.
١٨- عياد القزاز، علم الاجتماع فى العراق، القاهرة، المجلة الاجتماعية القومية. المركز القومى للبحوث الاجتماعية، المجلد الرابع، العدد ٢، مايو، ١٩٧٠ .
١٩- قاسم السارة، تعريب المصطلح العلمى، الكويت، عالم الفكر، وزارة الإعلام. المجلد ١٩، العدد ٤، مارس ١٩٨٩.
٢٠- مجدى وهبة، معجم المصطلحات العربية فى اللغة والأدب، طبعة ثانية " تأليف مجدى وهبة وكامل المهندس، بيروت، مكتبة لبنان،١٩٨٤.

٢١- محمد جواد رضـــا، ظـــاهرة العنـــف فـــى المجتمعـــات المعاصـــرة : تفســـير سوسيوسايكولوجى، الكويت، عالم الفكر، المجلد(٥). عدد ٣. ١٩٧٤.
٢٢- محمد حافظ دياب، علم الاجتماع فى الجزائر، المســـتقبل العربـــى، العـــدد ١٣٤" ١٩٩٠ .
٢٣- نجاة عبد العزيز المطوع، آفاق الترجمة والتعريب، عالم الفكر، وزارة الإعـــلام. الكويت، المجلد ٩، العدد٤، مارس ١٩٨٩ .
٢٤- نيو مارك بيتز، دليل المترجم، ترجمة. محمود إسماعيل صينى"، الريـــاض- دار العلوم، ١٩٨٥ .

23-Chinoy , Earl : Sociological Perspective : N.y Random House , 1954 .

24- Gouldner Alvin : The coming crisis of Western Sociology.N.Y Basic Book 1975.

الفصل الثانى

حركة الترجمة إلى العربية في ميدان العلم الاجتماعى

(مع دراسات حالة لبعض جهود تعريب المصطلح)(*)

أولاً: لمحة تاريخية

لا حاجة بى أن أشير إلى أن النهضة العلمية الحقة في أيامنا هذه بالذات- لا يمكن أن تبدأ من الصفر ، أو تنطلق من فراغ ، تحت أى حجة زائفة تتشبث - وهماً - بالخصوصية الاجتماعية أو التاريخية ، أو تتذرع بحجة الإفلات من سيطرة استعمار الأقوى لنا فكرياً . هذا كله حق يراد به باطل ، فلا أحد يسعى إلى تجاهل الخصوصية ، ولا أحد يفرح بهيمنة الآخرين عليه . ولكن من يملك العلم والرؤية هو الذى يستطيع أن يتحاور من موقع الشريك ، وهو الذى يمكنه أن ينتقى ما ينفعه وينتبه إلى ما يدمره أو يضلله . فلنتفق على أن من يريد أن ينهض ويبدع فعليه أن يبدأ من حيث انتهى الآخرون .

وإذا كان ذلك المبدأ يصدق عموماً ودائماً فإنه أشد ما يكون صدقاً فى ميدان العلم الاجتماعى . حقيقة أن ابن خلدون - صاحب علم العمران - هو الأب الحقيقى لعلم الاجتماع، ولكن الحقيقة أيضاً أن العلم الذى نتحدث عنه هنا ، وفروعه التى نتجول بينها الآن ، هو علم غربى أسهم فى تأسيسه سان سيمون ، وأوجست كونت ، ثم تلاهما جيل من العمالقة هم المؤسسون الحقيقيون لعلم الاجتماع المعاصر : إميل دوركايم ، وهربرت سبنسر ، وماكس فيبر ، وكارل ماركس إلخ . هذا العلم لا يزيد عمره الزمنى عن مائتى عام ، ولكنه أحدث قدراً هائلاً من الدينامية، بل والضوضاء ، وبلغ من الشعبية مبلغاً عظيماً .. وذلك كله تراث لا يستطيع عاقل أن يتجاهله هذه الأيام (١) .

ومن أسف فعلاً أن الفكر المصرى الحديث قد انتبه إلى هذا الدرس منذ فجر نهضته الحديثة ، واستطاعت بدايات حركة الترجمة من اللغات الأجنبية إلى اللغة

(*) كتب هذا الفصل الدكتور محمد الجوهرى، أستاذ علم الاجتماع، بكلية الآداب، جامعة القاهرة.

(١) انظر مادة علم الاجتماع فى : جوردون مارشال ، موسوعة علم الاجتماع ، ترجمة محمد الجوهرى وآخرون ، المجلد الثانى ، المجلس الأعلى للثقافة ، المشروع القومى للترجمة، القاهرة ، ٢٠٠٠ .